

تفريغ الكلمة الصوتية

# مقاصد الجهاد


للشيخ:
عطية اللَّه الليبي



التحايا للإعلام الجهادي
قسم التفريغ
١٤٣٦ هـ ٢٠١٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

# تفريغ

# مقاصد الجهاد

للشيخ/ عطية الله الليبي (رحمه الله)

مُؤسَّسَة التَّحَايَا

قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

نَصِل إلى الكلام عن التوحيد، نحن قلنا أن الله –سبحانه وتعالى– شرع لنا وفرض علينا وأوجب علينا الجهاد في سبيله؛ من أجل أن تكون كلمته هو –سبحانه– ودينه وشريعته هي العليا، وحتى لا تكون فتنة، قال الله –تعالى– الآية في سورة الأنفال: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}

إذن نجعل العنوان الكبير: **(مقاصد الجهاد وغاياته)**

الله –سبحانه وتعالى– أمر في هذه الآية بقتال الكافرين، قال: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى} يعني إلى هذه الغاية.

أن الله –سبحانه وتعالى– شرع لنا وفرض علينا الجهاد لمقاصد أهمها مقصد التوحيد، تحقيق التوحيد وإيجاده وحمايته وصَوْنه، وسنتكلم عن التوحيد، ونتكلم ابتداءً على هذه الآية.

قال –تعالى–: {وَقَاتِلُوهُمْ}

"قاتلوا" هذا أمْر بالقتال، قَاتل يُقاتِل مُقاتلةً وقتالًا، والأمرُ قاتِلْ للواحد، وللجماعة قاتلوا.

{وَقَاتِلُوهُمْ} مَن هم؟ الضمير عائد على الكفار المذكورين في الآية التي قبلها، قال –تعالى–: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} أي: قاتلوا الكفار لهذه الغاية، وهذا أمر بالقتال.

{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} يعني قاتلوا الكفار، حتى: حرف غاية، ولها معاني كثيرة في اللغة العربية واستعمالات كثيرة، من أهم معانيها:

أنها حرف غاية، لبيان الغاية "حتى تكون" بمعنى: إلى هذه الغاية

وقاتلوهم إلى هذه الغاية، ما هي؟ أن لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

فأَمَرَنا بقتال الكافرين إلى هذه الغاية، يجب علينا، مفروضٌ علينا من قِبَل ربنا -عز وجل- أن نقاتل الكفار إلى هذه الغاية، ما هي الغاية؟ سنشرحها الآن.

وتستطيع أن تقول: حتى بمعنى: إلى أن، إلى أن يحدث كذا وكذا.

{حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} يعني إلى أن لا تكون فتنة، إلى هذه الغاية، قاتلوهم إلى هذا الحد، وإلى هذا الغاية وإلى هذا القدر.

أن لا تكون فتنة، ما هي الفتنة؟ قال العلماء في التفسير: الفتنة هي الكفر والشرك، والمقصود لا مُطلق الكفر والشرك؛ لأن الكفر والشرك يمكن أن يبقى مع غلبة الإسلام يبقون تحت الإسلام، أهل الذمة -مثلًا-، ليس المطلوب إفناء الكافرين بالمرَّة، ولكن المقصود: حتى لا تكون فتنة وشرك له سلطان ونفوذ وغَلَبة، سلطان يفتن الناس وهذا معنى الفتنة في الحقيقة ولهذا كان الكفر والشرك بمعنى الفتنة.

له سلطان وغلبة وقوة ونفوذ وحكم ظاهر غالب يفتن الناس، يعني يصرفهم ويصدهم عن دين الله.

{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ}

"تكون" هنا في الآية هذه تسمى كان التامة وليست الناقصة، ليست هي التي من باب كان وأخواتها المعروف في النحو، لا، كان التامة {حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} ولهذا كلمة "فتنة" هي فاعلٌ لـ"تكون"، وليس اسم "تكون".

"تكون" هذه تامة، لأن اسم "كان" يكون تامًا ويكون ناقصًا، تامة وناقصة.

الناقصة هذه هي التي معقودٌ لها باب في النحو يسمى باب كان وأخواتها، لكن التامة فعلٌ ماضٍ كامل تام يرفع فاعلاً، يحتاج إلى فاعل، ففتنة هذه فاعل "تكون"

{حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} يعني حتى لا توجد فتنة.

{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} والمقصود بالفتنة: الكفر والشرك الغالب الظاهر الذي له نفوذ وقوة وسلطان يفتن الناس ويصرفهم عن دين الله ويصدهم عن دين الله وعن التوحيد.

"و" عطف عليه {حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} المقصود بالدين: الدين الذي له نفوذ الأحكام حتى تكون أحكام الله ودين الله وقوانين الله وشريعة الله هي النافذة هي المتحكمة هي المهيمنة هي الغالبة الظاهرة ففي هذه الحالة يكون الدين كله لله، دينونة الناس لله بشكل كامل، والخضوع لله {وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} يعني الدينونة لله –سبحانه وتعالى– بأن تكون أحكامه هي النافذة فقط، فهذا تكميل للأول بأن لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله، هما بمعنى واحد هو بمنزلة عطف الشيء على نفسه مع تغاير اللفظ، أو عطف الشيء على نفسه بنفي ضده فهو توضيح، فكلها بمعنى واحد.

**المترجم: هذا إذا كان بمعنى بعد انتهاء سلطة الشرك، هو في نقطتين:**

- **أن تنتهي قوتهم**
- **إقامة الشريعة**

**الشيخ**: وحصول النفوذ لدين الله، لا تنتفي سلطتهم فقط، لا بد أن يكون دين الله هو الكامل، فهذا النفي وهذا الإثبات.

ما هو الكفر والشرك والفتنة التي أنواعها ومظاهرها التي أمرنا الله –سبحانه وتعالى– بأن نحاربها ونزيلها ونلغيها؟

مظاهر كثيرة، وسنتكلم عن بعضها على وجه الإجمال.

فأولها وأعظمها، مظاهر وصور الشرك والكفر التي فرض الله علينا الجهاد من أجل إزالتها، وهي تختلف من وقت لوقت، لكن من أهمها الآن:

1– الشرك في الحكم، أن يُشرَك مع الله غيره في الأحكام، الله –سبحانه وتعالى– خلقَنا وأوجدَنا كي نعبده وحده لا شريك له، وأوجدَنا في هذه الحياة الدنيا للامتحان والاختبار والفتنة والابتلاء؛ لينظر كيف نعمل، لينظر من الذي يطيعه ويتبع رسله ومن الذي يعاند ويتمرد ويعصي ويتبع هواه، وأمرنا أن نحكم بشريعته وحده لا شريك له، أن نفرده وأن نوحده في الحكم في تحكيم شريعته.

قوانين الله أحكام الله أوامر الله ونواهيه فقط هي التي نعمل بها، فأتى أقوام من بني جلدتنا من أقوامنا من أمتنا ورفضوا حكم الله! قالوا: ما نريد حكم الله، لا نريد الشريعة، لا نريد قرآن ولا سنة ولا حديث ولا علم ولا فقهاء ولا نريد شيء، ما نريد هذا كله، نريد قانون فرنسا، وقانون سويسرا، وقانون انجليز وبرلمان يفكر ويشرّع القوانين لكل المسائل ونعمل قانون وضعي نحن وضعناه، موضوعٌ من قِبَلنا نحكم به.

هذا كفر وشرك، هذا خروج عن الإسلام ومن فعل ذلك خارجٌ عن الإسلام، هذا كفر وشرك مثل كفر الكافرين تمامًا، هذا أمرَنا الله أن نجاهده وأن نقاتله حتى نقضي عليه.

فإذن الله -سبحانه وتعالى- تعبَّدَنا يعني طلب منا أن نعبده، بأن نحكم بشريعته فقط لا غير، وقال لنا: الحكم بشريعتي وأحكامي وأوامري ونواهي هو الواجب عليكم وهو المفروض عليكم، وهو العبادة التي تؤدونها لي وما سوى ذلك إذا حكمتم بغير ديني وشريعتي وأحكامي وأوامري ونواهيَّ فقد كفرتم بي وخرجتم عن ديني، وهذا واضح في القرآن موضح توضيح كاملًا وسنذكر بعض الآيات.

فمن ذلك أن الله -سبحانه وتعالى- قال: {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ} الآية في سورة يوسف.

"إن" هذه نافية بمعنى "ما" ما الحكم إلا لله.

"إن الحكم" أصلها "إنْ" ساكنة وإنما حركت بالكسر تخلصًا من الْتقاء الساكنين.

"إن الحكم إلا لله" ليس الحكم إلا لله وحده لا شريك له.

"أمر" خلْقَه وعباده.

"ألا تعبدوا إلا إياه" أمر ألا تعبدوا أيها الناس أيها الخلق إلا إياه، إلا هو، "إياه" هذا ضمير النصب.

"أمر ألا تعبدوا إلا إياه" هو فقط تعبدوه لا تعبدوا غيره.

قال: "تعبدوا" هنا تنبيهًا على أن الحكم بأحكامه والعمل بأحكامه هي عبادة لا تنبغي إلا له -عز وجل-.

"إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا" بمعنى: ألا تعملوا إلا بأحكامه هو، هذه هي عبادته.

"إلا إياه" بتطبيق أحكامه والعمل بأحكامه؛ لأن الحكم له وحده لا شريك له.

فهذه هي أهم آيه في الباب، ومثلها في القرآن موجود في سورة أخرى، ومعناها في القرآن مبثوث، وسنذكر بعض الآيات الأخرى.

والآيات في القرآن كثيرة ومنها قوله -تعالى-: {وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا}

الله -عز وجل- هو لا يُشْرِك في حكمه أحدًا، يعني لم يتخذ شريكًا بل هو الحاكم وحده.

وأيضًا على سبيل المثال قوله -تعالى-: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} سورة الشورى. "من شيء" هذا للتعميم.

{وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ} أيها الناس، مهما كان صغير أو كبير في الأحكام المتعلقة بذواتكم، بأي معنى من معاني الذوات، بأي قيمة من القيم، بأي شيء من دين أو دنيا أو غير ذلك من منازعات ومشاجرات ومخاصمات أو أي شيء.

{وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ} أي وحده لا شريك له فخذوه من الله واطلبوه من رسالة الله ومن شريعة الله.

وقال الله -تعالى- في سورة الأعراف {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} فبين الله -سبحانه وتعالى- أن الخلق والأمر كلاهما لله -عز وجل- وحده لا شريك له، كما أنه ليس له شريك في الخلق كذلك أيضًا ليس له شريك في الحكم، في الأمر والنهي.

يعني أن الله الذي خلق الخلق هو الذي يعطيهم الأوامر، يأمرهم وينهاهم، وقد بين لهم كيف يفعلون وكيف يتصرفون، كيف يعبدونه، وخلقهم لأجل عبادته، وبين لهم كيف يعبدونه بأن أرسل لهم الرسل وأنزل لهم الكتب، فبين لهم فيها كيف يعبدونه وكيف يتصرفون في كل مسألة وقال لهم: أنا الحاكم فيكم جميعًا، حكمي هو النافذ، ولا ينبغي ولا يجوز ولا يصح ولا يكون أبدًا أن يحكم غيري.

والعقل يحكم ويدل ويفيد بأن صانع الصنعة هو الذي يعرف صلاحها، كيف تصلح، ويتوقى عن فسادها، صانع الصنعة هو الذي ينبغي أن يضع لها القوانين ويضع لها الأحكام، كيف تسير وكيف تفعل لكي تصلح ولكي تكون على أحسن حال، ولهذا قال الله –سبحانه وتعالى-: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}.

ولهذا فلا صلاح للإنسان في نفسه –في النفس-، ولا صلاح للبشرية –للاجتماع البشري- ولا صلاح للدنيا وما فيها من مصالح وإرادات وغيرها إلا باتباع شريعة الله وأحكام الله.

هذا العقل يقضي به والشريعة جاءت به وبينته ووضحته، وأمرنا الله أن نحكم بشريعته فقط لا بشيء آخر، وبين لنا أن هذا من عبادتنا له المطلوبة والتي يجب أن نفرده ونوحده بها، ونهانا أن نحكم بغير شريعته النهي الصريح والقاطع والواضح في الكتاب العزيز وفي سنة نبيه ﷺ، وبين لنا أن الذين يحكمون بغير شريعته أنهم خرجوا من شريعته وخرجوا من دينه قال الله –تعالى-: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} الآية في سورة المائدة

فبين لنا أن الذي إذا حكم لا يحكم بشريعة الله فقد خرج من دين الله وصار كافرًا.

وبين لنا –سبحانه وتعالى- أن الذي يشرع مع الله ويضع أحكامًا للخلق ويُشرّع لهم ويزاحم الله في حكمه، أنه طاغوت وأنه قد جعل نفسه شريكًا لله، وأن الذي يرضى به ويعمل بأحكامه قد اتخذه إلهًا مع الله وشريكًا لله وصار بذلك طاغوتًا، يسمي الله –سبحانه وتعالى- هذا طاغوت قال الله –تعالى-: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} في سورة الشورى هذه أيضًا.

هذه الآية هي في صورة الاستفهام يعني "أم" هذه للإضراب والمقصود بعدها الاستفهام، يعني التقدير هل لهم شركاء؟ المقصود بالاستفهام هذا إنكار، استفهام إنكاري، يعني لا وجود له، هل لهم آلهة أخرى يشركون مع الله شرعوا لهم من الدين شيئًا؟!

"ما" هذه ما التنكير، يعني شيئًا لم يأذن به الله؟! لا، ليس موجود مع الله شركاء يشرعون للناس شيئًا لم يأذن به الله، فدلت الآية على أن كل من يشرّع من دون الله أنه اتخذ نفسه شريكًا مع الله وأن الذي رضي به اتخذه شريكًا وإله مع الله، فهذا شرك.

فالتشريع من دون الله شرك، والذي يتخذ مُشرّعًا يشرّع له من دون الله ويتبعه اتخذه شريكًا مع الله وأشرك بالله –عز وجل– وكفر وخرج من دين الله.

والله –سبحانه وتعالى– في القرآن بيّن هذه المسألة تبيين كامل، ووضحها أحسن توضيح ليس بعده توضيح، هذه من أوضح المسائل في القرآن.

حتى قال الله –سبحانه وتعالى– عن المنافقين الذين يزعمون أنهم مؤمنون قال: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} الآية هذه التي تلوناها في سورة النساء، سبب نزولها أن رجلًا ممن ينتسب إلى الإسلام –ممن يزعم الإسلام والإيمان وهو من المنافقين– تخاصم مع رجلٍ من اليهود، فذهبا إلى النبي ﷺ؛ ليحكم بينهم فحكم النبي ﷺ بينهم، فرضي اليهودي ولم يرضَ المنافق بحكم النبي ﷺ، قال المنافق لليهودي: نذهب إلى أبي بكر، قال: نذهب.

ذهبا إلى أبي بكر، فقالا له: اختصمنا وذهبنا إلى محمد ﷺ فحكم بيننا بكذا وكذا، فقال لهما أبو بكر: "ما حكم به النبي ﷺ هو الحكم".

خلاص ليس لأحد بعده حكم، وذهبا عن أبي بكر ولم يرضيا بحكم أبي بكر، قال المنافق أيضًا لليهودي: تعال نذهب إلى عمر، فذهبا إلى عمر –طبعًا تعرفون شدة عمر وقوته في الحق– قالا لعمر: ذهبنا إلى محمد ﷺ فحكم بكذا وكذا ولم يرضَ صاحبي فذهبنا إلى أبي بكر –فقصَّا عليه القصة– فقال لهما عمر: حكم بينكما النبي ﷺ قالوا: نعم، حكم بيننا بكذا وكذا

قال: ولم ترضيا؟ قال: صاحبي لم يرضَ وكذا

قال: انتظرا مكانكما، فدخل إلى بيته وأخرج سيفه وأتاهما مسرعًا فضرب رأس المنافق فقتله وأطار رأسه وكان يريد أن يضرب اليهودي فهرب اليهودي، فنزلت هذه الآية في المنافقين {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ} من هو الطاغوت؟ هو الذي يشرّع من دون الله.

هو الذي يُصدر أحكامًا من دون الله، يشرّع ما لم يأذن به الله، بغض النظر عن قول الله غير ملتزم أصلًا بأحكام الله ولا ناظر لها ولا ملتفت إليها، من عند نفسه يشرّع، هذا هو الطاغوت.

{يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ} هؤلاء المنافقون، فسماه طاغوتًا وأمر بالكفر به وقال أُمروا أن يكفروا به في الحقيقة وهم يتحاكمون إلى الطاغوت فذمهم على ذلك، وجعلهم محكوم عليهم بالنفاق يزعمون أنهم آمنوا، وفي الحقيقة هم لم يؤمنوا.

النبي ﷺ أهدر دمه بعد أن قتله عمر، قال النبي ﷺ: (دمه هَدْر)

***أحد الحاضرين يسأل بغير العربية، تلى آية {ألم تر إلى الذين يزعمون...الآية} ويريد ترجمة {ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالًا بعيدًا}***

**الشيخ:** تمام الآية، قال -تعالى- {وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} يريد الشيطان أن يضلهم ضلالًا كبيرًا يعني ضلال كبير وضلال بالغ أقصى غاياته، هذا معنى {وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} حين جعلهم يتحاكمون إلى الطاغوت؛ لأن الشيطان في النهاية، كل الكفر وراءه الشيطان، وكل معصية وراءها الشيطان وسببها الشيطان ووسوسته -لعنه الله- هو الذي يسول لبني آدم فقال: ويريد الشيطان أن يضلهم بذلك -بتحاكمهم إلى الطاغوت- ضلالًا بعيدًا وفي هذا بيان أن التحاكم إلى الطاغوت ضلال بعيد جدًا.

**المترجم: ربما أن يكون عنده شبهة أن الله -عز وجل- ما سمى هذا العمل كفرًا بل سماه ضلالًا بعيدًا، لأن مثل هذه الشبهات...**

**الشيخ:** ما أظن، ليس هذا الذي مقصود، طبعًا هذه الآية واضحة أنها جاءت في المنافقين والمفسرون على هذا واضح وسبب النزول هذا وقوله -تعالى-: {يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا} وكذَّبهم الله في هذا وأشار إلى أن هذا مجرد زعم لا حقيقة له، فهذا من النفاق والنفاق كفر.

وبينت الآيات الأخرى معنى الكفر ومعنى الطاغوت، والطاغوت في لغة العرب: هو مشتق من طغى يطغى، طغى يعني: تجاوز الحد، قال الله -تعالى-: {إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ} ماء الطوفان، طوفان سيدنا نوح، قال الله -تعالى-: {كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى}

مذكور في القرآن الطغيان في مواضع، وهو صفة الكافرين المتمردين الجبابرة العتاة الذين يجاوزون الحد.

فالطاغوت الذي جاوز حده –حد العبودية– هو المفروض عبد لله، فتجاوز حد العبودية ونازع الله في حكمه وزاحمه في حكمه ونازعه عزته وكبرياءه ونازعه في خصائصه –سبحانه وتعالى– فالله –عز وجل– يذله، الله سمى هؤلاء الطواغيت وأمرنا أن نكفر بالطاغوت قال الله –تعالى–: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} وأمرنا في آيات كثيرة في القرآن أن نكفر بالطاغوت.

{اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى} جاوز حده، مجاوزة عظيمة وادعى الربوبية والإلهية وقال: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} وقال: {أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} هذا طاغوت كبير، فرعون كان من الطواغيت.

***مداخلة لأحد الحاضرين غير مفهومة***

**الشيخ**: بعد رسول الله، فكيف بمن تحاكم إلى الكفرة إلى قوانينهم!

صدقت، بارك الله فيك.

فهذا هو الطاغوت، هو الذي ينازع الله –عز وجل– في حكمه ويجاوز حد العبودية الذي ينبغي أن يكون فيه إلى أن يأخذ صفة الرب وصفة الإله، هذا هو الطاغوت.

الطاغوت، هذا من صور الطغيان التي يصير بها العبد طاغوتًا، أن يشرّع للناس ما لم يأذن به الله ومنها:

- أن يدعّي الألوهية –مثلًا– كفرعون الذي ادعى الألوهية أو بعض الناس...، تعرفون آغا خان هذا المجرم، طاغوت هذا يدعو الناس إلى عبادته، يجعل نفسه إلهًا! هذا طاغوت، وهكذا بعض الكفرة العتاة من الصوفية بعضهم يدعون الناس إلى عبادتهم هؤلاء طواغيت، أو الناس تعبدهم من دون الله فيتخذونهم طواغيت، هذا كله داخل في معنى الطاغوت –والعياذ بالله–.

- كذلك الأصنام والأوثان وبوذا وأمثالهم، وكل ما اتُخذ إلهًا من دون الله، كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت، الأحجار والأضرحة والقبور التي تُعبد من دون الله، هذه طواغيت، الناس اتخذوها طواغيتًا واتخذوها أصنامًا وآلهةً فصارت بهذا المعنى طاغوتًا يعبد من دون الله، حتى وإن كان صاحب القبر رجل صالح، إن كان رجل صالح فالله يُبرئه {أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} الله يبرئه إن كان صالحًا ولا يرضى بهذا ولا يأمر به، لكن الناس اتخذوه طاغوتًا وصار القبر أو

الضريح طاغوت من دون الله، وصنمًا وإله يُعبد مع الله أو من دون الله، وكذلك من اتخذ شجرة أو اتخذ حجرًا أو نهرًا أو الشمس أو القمر أو غيرها شيء يُعبد من دون الله، فهو طاغوت من دون الله.

ولهذا فالبرلمان الذي يشرّع من دون الله، البرلمان هذا طاغوت والقانون الوضعي، قانون الدولة التي لا تحكم بشريعة الله إنما يحكم بقانون أنفسهم هم الذي وضعوه هم واختاروه هم من بين قوانين الأرض، استفادوا من الأمم الأخرى وزادوا وطوروا وعدلوا، وحذفوا، ونسخوا، وقدموا وأخروا، وجعلوا لأنفسهم قانونًا وكل يوم البرلمان يزيد في القوانين ويشرّع، كل ما تحصل الأحداث يشرّع ويسن قانونًا للأحداث، للمسائل، للقضايا فهذا البرلمان طاغوت، إله يُعبد من دون الله.

لماذا؟ لأنهم يشرّعون ما لم يأذن به الله، من دون الله بغير إذنٍ من الله، يشرّعون الأشياء التي لم يأذن بها الله ولم يعطِ إذنًا ولا إجازةً -سبحانه وتعالى- بل الله -عز وجل- وضع قانونًا، وضع أحكامًا فهم لا يرضون بها فيقولون لا نريدها ونبدلها ونعمل أحكام أخرى تليق بنا وتصلح بنا، وبحالنا وبعصرنا وبزماننا، وببلدنا.

فمثلًا: الله -سبحانه وتعالى- حكم بجلد الزاني الغير المحصن بجلده مئةً، وحكم برجم الزاني المحصن أو الزانية، المحصن برجمه حتى الموت، هم يقولون: لا، إذا زنى الشاب والفتاة عن تراضٍ فلا شيء عليهما، وإذا كان اغتصاب، أخذها بالقوة وبالاغتصاب فيحكم عليه بالسجن -مثلًا- سنتين عقوبة.

فهذا تغيير وتبديل لحكم الله، أصلًا حكم الله موجود في المسألة فهم يبدلونه ويحذفونه ولا يرضون به ولا يريدونه ولا يلتزمون به، ويأتون بشيء آخر من أفكارهم ومن قناعاتهم هم سواء هم اخترعوها من عند أنفسهم أو استفادوها من غيرهم من الأمم، فهذا كفر صريح بيّن واضح من أوضح الكفر، والعلماء متفقون على أن هذا كفر، ما في خلاف أبدًا بين أهل العلم قديمًا وحديثًا.

فهذا معنى "ما لم يأذن به الله" لأنه معناه لا يلتزمون أصلًا بحكم الله، يعني لا يهم الله شرع أم لم يشرع، هذا لا يهمنا لا ننظر إليه نحن نختار ما نريد ونحن نشرع ما نريد، هذا معناه ويشرعون، الذي شرع الله والذي لم يشرع فيه الله والذي تكلم فيه الله، والذي لم يتكلم فيه الله هم لا يهمهم! هم يختارون! هذا معنى {مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ}.

لكن –مثلًا– لو جئنا نحن عندنا هنا مجموعة من المجاهدين في المركز ووضعنا لائحة: ممنوع الخروج من البيت هذا في النهار، الخروج يكون في الليل فقط، إحضار الماء يكون الساعة كذا وكذا، الأعمال مقسمة على كذا، المجموعة الفلانية تفعل كذا والمجموعة الفلانية تفعل كذا، يُفعل كذا ولا يُفعل كذا.

هذا جائز وهذا ليس تشريعًا فيما لم يأذن به الله؛ لأن هذا مأذون لنا نحن عبيد الله مأذون لنا من قِبَل الله أن نفعل هذه الأشياء، هذا تحت تخويلنا، مُخَوَّلٌ لنا فيه أن نضع لوائح أو قوانين أو غيرها لتسيير الأمور، أنا عندي شركة تجارية، عندي مصنع، أو عندي قوانين، قوانين سير المرور هذه جائزة، لماذا؟ لأن الله –سبحانه وتعالى– أذن فيها للناس ولم ينزل فيها شيء والله –سبحانه وتعالى– قال هذا لكم افعلوا فيه ما تشاؤون وقال النبي ﷺ: (أنتم أعلم بأمور دنياكم) وهكذا هذه الأمور جائز فيها وضع لوائح أو قوانين؛ لأنه تحت الشريعة، شرطها أن تكون تحت الشريعة بمعنى: ألَّا تخالف الشريعة فقط.

ونحن في هذه الحالة ملتزمون بشريعة الله لا نخالفها ولا نخرج عنها ولا نبدلها ولا نغيرها، وإنما نعمل في المأذون لنا فيه؛ لأننا نحن مأمورون بفعل الصلاح والتوقي عن الفساد، والله –سبحانه وتعالى– خولنا في الأمور التي لم يحكم هو فيها وقال النبي ﷺ: (أنتم أعلم بأمور دنياكم)، فهذا فرق كبير بين هذه المسألة وبين...

وهذه من السياسة الشرعية التي يسميها علماؤنا السياسة الشرعية.

وهذه المسألة، يشبهها مسألة الأحكام الفقهية التي تصدر عن الفقهاء وعن العلماء، أئمتنا –رضي الله عنهم ورحمهم الله– أبو حنيفة، مالك، الشافعي، أحمد وغيرهم وسائر علماء الإسلام إلى آخر الدنيا، عندما يأتي الفقيه من الفقهاء والعالم من العلماء ويفتي في مسألة معينة ويؤلف كتابًا في الفقه أو كتابًا في الفتوى ويفتي للناس ويقول مسألة فلانية عندما يحصل فيها كذا فالحكم فيها كذا والواجب فعل كذا وينبغي فعل كذا ولا تفعلوا كذا وإلى آخره.

هو لا يحكم بغير ما أنزل الله، لكنه مخولٌ في المسائل الاجتهادية، المسائل المنصوص عليها في القرآن أو السنة المسلَّمة الصحيحة أو المجمع عليها سواء إجماعًا قطعيًا أو مبنيًا على الظن الغالب، فهذه هو فيها بمنزلة الراوي يروي عن الله ويخبر بحكم الله.

والمسائل الاجتهادية هو يحاول ويسعى ويجتهد في استنباط الحكم لها من كلام الله ومن كلام رسوله وما دل عليه كلام الله ورسوله، من القرآن والسنة وما في معناهما: الإجماع، القياس، المصلحة، الاستصحاب، كذا كذا من الأدلة، فهو العالم والفقيه يجتهد فيستنبط الحكم ويستدل على الحكم ويخبر الناس به، وهذه هي الفتوى، الفتوى: هي الإخبار بالحكم الشرعي لا على الوجه الإلزامي.

فهذا الفقيه وهذا المفتي وهذا العالم وهذا الإمام يشرّع للناس فيما أذن الله له فيه، فهو يعمل تحت إذن الله ملتزمًا بشريعة الله، لا يخالف شريعة الله ولا يخرج عنها بل هو يستنبط منها ويفهم منها ويستخرج منها الأحكام للمسائل التي لم تنص عليها الشريعة، ففرقٌ كبير كما بين السماء والأرض.

فالفقيه المستنبط للأحكام عاملٌ ومشرّعٌ تحت الإذن -تحت إذن الله عز وجل-.

مسألة ثانية بقيت في الموضوع، وهي لو جاء البرلمانات في باكستان وقال في القانون، القانون له شُعبٌ كثيرة: التجارة، التعليم، الصحة، العقوبات -الجزاءات- الأحوال الشخصية، يعني أحوال الأسرة والعائلة، الزواج والطلاق والنكاح، المرأة والأطفال والتربية، الحضانة، الكفالة، سموها الأحوال الشخصية، كثير عندنا في البلاد العربية موجود وهنا أظن في باكستان هكذا، هم يعملون قوانين تجارة كما يحبون والتعليم كما يحبون والصحة والدولية والخارجية والقضاء والعقوبات هذه كما يحبون، ثم يأتي للأحوال الشخصية يقول هذه من الفقه الحنفي نأخذها -أو الفقه المالكي في بلادنا- فيقول: تؤخذ من الفقه المالكي مباشرةً.

فيحيلون على الفقه فيقولون: طبقًا لأحكام الشريعة، فهل يُعتبر البرلمان في هذه الحالة حاكمًا بالشريعة؟ لا، ولا حتى في الجزء، لماذا؟ لأنه لم يحكم بها بناء على أنها دين الله وحكم الله وشريعة الله وأمره ونهيه الذي هو ملتزم به لا يخرج عنه، هو أصلًا البرلمان هذا هو كافرٌ بالله، هو غير ملتزم بدين الله أصلًا، بحكم الله وشريعة الله هو غير ملتزم، يعني هو لا يهمه أَمَر الله أو لم يأمر، تكلم الله أو لم يتكلم، بعث رسلًا أو لم يبعث، أنزل كتبًا أو لم ينزل!

بغض النظر، بصرف النظر، بقطع النظر عن حكم الله، البرلمان هو يحكم بما يريد، يحكم بما يحب! في مسألةٍ ما في فقرةٍ ما أعجبه حكم الله فأخذه، فهذا ليس حكمًا بدين الله، إنما هو حَكَم بهواهُ هو، بما يعجبه هو.

وهكذا فَعَل جنكيز خان وغيرهم الذين انتسبوا إلى الشريعة، أول من وضعوا القوانين في أمة الإسلام فأخذوا من الشريعة ومن غير الشريعة ومن أهوائهم ومن أفكارهم، وجمعوا قانونًا.

فهذه مسألة مهمة، يعني حتى لو جاء البرلمان كله ووضع الشريعة وقال: لقد قرر البرلمان وفرض وأمر جميع الباكستانيين أن يحكموا بالشريعة، فالذي يخرج عن الشريعة نعاقبه؛ لأنه خالف البرلمان، ما ينفع!

لا بد أن نحكم بالشريعة وبدين الله على أساس أنه شرع الله، نحن ملتزمون به ولو خرجنا عليه لكفرنا، ليس لأن البرلمان جعله قانونًا! ليس بقوة البرلمان! بل هو قوته في نفسه أنه دين الله.

والله أعلم، وجزاكم الله خيرًا، سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.